

أضواء البيان

. @ 256

وهذا إنما وقع لهم من شدة الخوف من بأس الكفار المأمور بقتالهم . .

وقد صرح جل وعلا بأن ذلك من الخوف المذكور في قوله : { فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْوِيرًا أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ } . .

وقد بين تعالى ، أن الأغنياء من هؤلاء المنافقين ، إذا أنزل الله سورة ، فيها الأمر بالجهاد ، استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الجهاد ، وذمهم الله على ذلك ، وذلك في قوله تعالى : { وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِمَا نَزَّلَهُ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنُوا ذَٰلِكُمْ أُولُوا الطَّاغُوتِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرُونَا نَتَّبِعِ الْغَايِبِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } . قوله تعالى : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتُورَ إِنَّ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } . الهمزة في قوله : أفلا يتدبرون للإنكار ، والفاء عاطفة على جملة محذوفة ، على أصح القولين ، والتقدير أيعرضون عن كتاب الله فلا يتدبرون القرآن كما أشار له في الخلاصة بقوله : * وحذف متبوع بدا هنا استبح * .

وقوله تعالى : { أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } فيه منقطة بمعنى بل ، فقد أنكر تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن ، بأداة الإنكار التي هي الهمزة ، وبين أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح لخير ، ولا لفهم قرآن . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب الله ، جاء موضحاً في آيات كثيرة ، كقوله تعالى { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتُورَ إِنَّ وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا } ، وقوله تعالى { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ } ، وقوله تعالى { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } . .

وقد ذم جل وعلا المعرض عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة كقوله تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا } . وقوله تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا } .

